شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

٣

الولاء والبراء

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

الولاء والبراء[1] 1

- الولاء والبراء وقلب المصطلحات 2
- الولاء والبراء وسنة الاختلاف 3
- مراتب الولاء والبراء 5
- الولاء والبراء للكافر ذي النسب 6
- الولاء والبراء للمؤمن صاحب الكبيرة 7
- الولاء والبراء بين الفطرة والعقيدة 8
- الولاء والبراء والحرب على الإسلام 10

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=Z-YsxWHpjSY

الولاء والبراء وقلب المصطلحات

مصطلحات الولاء والبراء والطائفية تعتبر ضمن المصطلحات الشرعية التي طرأ عليها شيء من التبديل والتعتيم فيروّج لها كثيراً في وسائل الإعلام والمقالات ، وربما يجدها الإنسان في دواوين الناس ومجالسهم يتحدثون بها ولا يدركون معناها نتيجة للتعتيم والإبهام الإعلامي المساق لها والهدف هو تغييب المصطلحات الشرعية فيها .

وأعظم فتنة على الإطلاق في هذا الزمن هي فتنة المصطلحات وقلبها ، فالمصطلحات تفتك في الأمة أكثر من فتك الأسلحة بها ، فيبدلون مصطلحات بأخرى حتى لا يحتاج إلى تغيير الجزئيات الغالبة كتسمية الكفر بالإيمان والشر بالخير.

وقلب المصطلحات يتولد عنها كل الشرور وتضل به الأمم ; لذا مما يحل كثير من الإشكالات تحليل الألفاظ والمعاني إلى معانيها الحقيقية وإعادتها إلى ما وضعت عليه ،والنبي ﷺ وسائر أنبياء الله لا يحاربهم أعدائهم بدعوى أنهم يدعون إلى الخير وإنما يدّعون أنهم يدعون إلى الشر ، إذاً هم يقلبون تلك المصطلحات ويغيبون معانيها ، وقد بين الله في سورة البقرة في سياق إخباره للملائكة عليهم السلام أنه سيجعل في الأرض خليفة .

قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة :30] بيّن الله أن الملائكة لم يكن لديهم علم سابق من المشاهدة ولكنه أخبرهم بذلك وهذا الإخبار قابلته الملائكة بشيء من الاستفهام إذ ربما يطرأ على الأرض شيء من الفتنة ،والله بين بعد هذا السياق أنه علّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 31] وحينما خلق الله آدم خلقه خلقاً تاماً ثم علمه أسماء الأعيان والدواب من البقر والغنم وأسماء الخير والشر وغير ذلك وأراد أن يبين للملائكة أنه علّم آدم والملائكة لايعلمون من ذلك شيء وإنما علم آدم كان من علم الله فجاءت وساوس الشيطان إلى الإنسان ليقلب المصطلحات بتغيير لفظ الخير إلى الشر وتغيير الشر إلى صور أخرى حتى يقع في ذلك التلبيس لأنه لا يمكن أن يقال أن هذا خير فاتركوه وهذا شر فعليكم به ، ولكن من دواعي وضبط التلبيس قلب المصطلحات أولاً .

وأصل ضلال الأمم يكون بتغيير المصطلحات وقلب الحقائق عن مواضعها ; ولهذا أقوام الأنبياء في صراعاتهم لا يواجهونهم بالحجة وتحليل الأفعال إلى شيء من الأقيسةوالنظر إلى المآلات وإنما يستعملون مصطلحات مضادة لذلك;لذا كان قول فرعون لما دعاه موسى إلى عبادة الله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [هود:40] يعنى أن ما أدعوكم إليه هو الرشاد فجاء بالمعنى المضاد ، كذلك في قوله ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات : 24] لم يناظر موسى وإنما اتهمه بالسحر مجرداً ، أراد أن يبين أن القضية قضية تحليلية يصعب مواجهته لأن الربوبية لديه منتفية ، إذاً بحث ذلك الأمر من جهة التفصيل دليل على بطلانه .

كذلك في قوم فرعون ممن أيدوه حينما قالوالموسى ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه :63] والمثالية هنا هي النموذج الأظهر الصالح في أمور الخير وبهذه الطريقة يظنون أنهم على المثالية من غير تحليلٍ لها أو برهان .

وفرعون كان يدعو الي التلقين أنه الرب وأنه صاحب الرشاد من غير تمحيص ولا يأذن لأحد بتحليل أكاذيبه .

وسبب الضلال في الأمة هو مصادرة المصطلح الخيري الذى علمه الله آدم والتعمية والتلبيس عليه .

ومع وسائل الإعلام المعاصرة ظهر التلبيس وقلب الحقائق والإتيان بمصطلحات جديدة ، قلب الخير إلى شر ، محاولة إضاعة المصطلحات الشرعية كالنفاق و الطاعة والفسق وغير ذلك حتى المصطلحات الشرعية في أمور المال كالصدقة و الإنفاق والزكاة ، وتغليب مصطلحات أخرى وإن وجدت في اللغة كالإعانة والمساعدات وغير ذلك لإضعاف الجانب الشرعي التعبدي ، حتى يبعد الإنسان عن المصطلح الذي يغرس فيه الإيمان .

الولاء والبراء وسنة الاختلاف

الله تعالى خلق البشر على أجناس وهذه الأجناس فطرهم على الاختلاف ولهذا يقول الله عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن : 2] تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر هو كتفصيل الناس في ذواتهم إلى أجناس من جهة وجوب تمييزها لا من جهة الإقرار والتحول بها ؛وذلك أن الله فطر الناس على توحيده ثم يطرأ عليه بعد ذلك الكفر ، ولهذا تجد الصبي الصغير في أول نشأته لا يمكن أن يكذب وإنما يحيبك صادقاً ثم بعد ذلك يكذب لأنه يرى أن من حوله يغيرون المعلومات فيبدأ بالتلقي منهم ، إذاً فطرته صحيحة ثم تغير .

والاختلاف من لوازم البشر ولهذا يقول الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود : 118-119] ، وهذا الاختلاف الذي أوجده الله في الناس سواء اختلاف في الدين أو في الخلقة أو في اللغة واللسان أو في الفقر والغنى لابد من وجوده ولكن ضبطه الله بضوابط شرعية حتى لا تتغلب في الناس القبليات ولا الإقليميات ولا اللغات ولا الأنساب والأحساب فأراد الله تعالى أن يلغي الطائفية بكل أنواعها ويبقي فقط جانبها الإيماني .

والفكر الغربي بمصطلحاته المتعددة يحاول تنحية الجانب الديني من الطائفية بينما يقرها على الاختلاف في الأصل واللغات .

والليبرالية الغربية قائمة على الفردية وحجب الإنسان عن كل مؤثر يؤثر عليه ، فتحرر الفرد من التأثر باللغة أو الدين أو الوطن ، وتتوجه إلى الإنسان بذاته من غير مؤثر حوله .

الله تعالى أوجد الاختلاف الفطري و جعل من هذا الاختلاف ما هو ممنوع وما هو سائغ في حال الناس ، لذا الذين يحاولون إلغاء ما يتعلق بالتمايز بين البشر وما يتعلق بالطائفيات هم يمارسون طائفيات أخرى ، ولهذا نجد في الحضارة المادية الموجودة الآن أوجدوا الأدوية لعلاج الأمراض ولكنهم أوجدوا الأسلحة الفتاكة التي تفتك بالإنسان فهو تطور في جانب وفساد في جانب آخر.

فأكثر الأزمنة التي يُدعى فيها إلى التعايش والوئام والرحمة وعدم العدوان هوفي نفس الوقت أكثرها قتلاً وعدوانا وفتكاً بالإنسان،وهذا أمرٌ ظاهر جلي وإن أغتر كثير من الناس بالماديات واختراع الأدوية وعلاج المرضى ، وقد جاء عن النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ "[٢] والمراد به القتل .

ولابد من وجود طائفية الإنسان من جهة نزعته إلى العدوان على غيره ولكن لها مؤثرات والشريعة جاءت بإلغاء جميع هذه المؤثرات فجعل الله أكرم الناس عنده أتقاهم فالتمايز يكون بالإيمان بالله لأن الله هو الذي خلق الإنسان فوجب على الإنسان أن يكون منصاع له فلايجوز العنصرية على القبلية أو اللغة أو العرق أو الأحساب والأنساب والناس في ذلك سواء ، فجعل الله الناس سواسية في جانب وجعلهم ليسوا بسواسية في جانب آخر لأن الأمر يتعلق بالخالق لا يتعلق بالمخلوق مجردًا .

[٢]) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء (1036)

مراتب الولاء والبراء

الولاء والبراء هما ثمرتا الحب والبغض فلا يمكن للإنسان أن يوالي أحد إلا وقد أحبه ، ولا يمكن أن يعادي أحد إلا وقد أبغضه ، فالحب والبغض نواتا الولاء والبراء ، وأتم ما يتعلق بالولاء والبراء هو ما يتوجه إلى الذات ، فموالاة الذات هي الولاء الحقيقي ثم يأتي ما يتعلق بالولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الكفر وهي على مراتب فكامل الإيمان الذي ليس بأهل كبائر ولا يصر على الصغائر لا تكون موالاته كمن يقع في شيء من المخالفات الشرعية ، كذلك البراء من الكافر المحارب ليس كالبراء من الكافر الغير محارب .

والحب والكره من الأعمال القلبية التي لابد للإنسان أن يبذلها فإذا لم يبذلها دينياً بذلها للمال بذلها للجاه بذلها للمتعة بذلها للون بذلها للجمال بذلها للعرق بذلها للحسب والقوة والضعف .

إذاً فالقلب لابد أن يعمل كأطراف الإنسان لابد أن تتحرك فإن لم تتحرك في خير تحركت في شرٍ مضاد.

ضبط الله تعالى ذلك التوجه القلبي فبدلاً من أن يتوجه الناس لأجل المال أو غيره جعله توجهٌ واحد حتى لا يطغى أحد على أحد ولا يتعدى أحد على أحد فجعل الله الأمر إليه ولهذا يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الممتحنة : 1] فجعل الله ولاية الكفار محظورة سواء كانوا كفار بجميع مللهم من الكتاب أو غيرهم كما جعل محبتهم لها استثناءات كالإحسان أو الهدية والصلة ،والبغض لايلزم منه أن يلحق بأذى إلا بما ضبطه الله تعالى .

وكثير من الناس يرجع المودة لذات الإنسان لشكله أو لقوله أو لفعله لطوله أولعرضه من غير أن يحكمها بشريعة الله، والأصل أن الولاء لأهل التوحيد وكلما رأى الإنسان أكثر تقرباً لله أحبه لله لا لذات الإنسان ، ولهذا كان ذلك أوثق عرى الإيمان كما جاء عن النبي ﷺ في حديث البراء "أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَق ، قَالَ : اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ : الْمُوَلاَةُ فِي اللهِ وَ الْمُعَادَاةُ فِي اللهِ وَ الْحُبُّ فِي اللهِ و البُغْضُ فِي اللهِ "[٣] والإنسان الذي يريد ولاية الله الحقيقية لابد أن يجعل ذلك هو المحك لأنه إذا أغلق هذا الباب قد يفتح على غيره ، وقد جاء هذا من حديث عبد الله بن عباس عند أبي شيبة وابن أبي حاتم "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنالُ ولايةُ الله بذلك "[٤].

---

[٣] رواه أحمد بلفظ آخر من طريق البراء ، وابن أبي شيبة في الإيمان ، والحاكم في المستدرك بلفظ آخر من طريق ابن مسعود، والطبراني في المعجم الكبير ، والبغوي في شرح السنة

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم – الإبانة الكبرى لابن بطة(851) والمعجم الكبير للطبراني – (ج 11 / ص 46)(13355) و المعجم الأوسط للطبراني (11137)

الولاء والبراء والكافر ذي النسب

محبة رسول الله ﷺ تعتبر فرع من محبة الله تعالى ، ولهذا يقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : 31] ،ويقول النبي ﷺ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[٥] ، إذاً لابد من محبة رسول الله ﷺ لأن الله يحبه ، ولابد من كره من يكرهه الله لأن الله تعالى يكرهه .

إذاً الأمر منفك عن ذات الإنسان وإنما هي ولاية لله ، ومن أغلق هذا الباب لابد أن يفتح عليه باباً من أمور الولايات الأخرى ، فإذا لم يحب لله أحب للفن أحب للطرب أحب للمال أحب للجاه و أصبحت تلك الأبواب لديه مشروعة .

والأفعال هي محك الحب والبغض لله ، وإذا كان ثمة كافرٌ ذو نسب كالوالد الكافر أو الزوجة الكتابية يهودية كانت أو نصرانية فيستشكل على كثير من الناس هذه المسالة :كيفية حب ذي النسب للصلة وبغضه لله تعالى !

والحب والمودة على نوعين : النوع الأول الحب الفطري الموجود في ذات الإنسان ولا ينزعه الله تعالى منه ولكن يمنعه من أن يبذل شيء مكتسب زائد عن ذلك ، ولهذا يقول تعالى ﴿ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة :221] ، بيّن الله أن الإنسان قد يعجب بالمشرك وما نهاه عن هذا الإعجاب كالعبد المشرك الحاذق صاحب العلم والأمانة في حين قد تجد مسلم في نفس موقعه لديه شيء من التقصير !

فالمودة الفطرية لا يؤاخذ الله عليها ، ولهذا ربما يشرّع الله تشريعاً يكرهه الإنسان ، يقول الله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : 216] هذه الكراهة هي كراهة موجودة في ذات الإنسان فطرية لحبه للحياة والأهل والأوطان ، لكن المنهي أن يتلفظ الإنسان بكرهه لهذا التشريع أو يفعل شيء من الأشياء التي تخالف مراد الله في ذاته ، وأيضاً في قول النبي ﷺ " إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ "[٦] وفي البرد يكره الإنسان ذلك فهذا من الأمور الفطرية ، كذلك الزوجة جعل الله فيها ميل مودة هذه المودة يجب أن تكون من غير رضا عما يقع منها في مخالفة أمر الله إذا كانت كتابية ، كذلك الأم اليهودية أو النصرانية تطاع في غير معصية الله فإذا أرادت أن يمسح لها صليباً أو يأتيها بخمر أو أن يترك دينه أو نحو ذلك فيمتنع عن ذلك وكذلك الأب سواء .

---

[٥]) صحيح البخاري كتاب الإيمان (1 / 58) (15) ، ومسلم كتاب الإيمان (1 / 67) (44) ، والنسائي كتاب الإيمان (8 / 488) (5028) .

[٦]) صحيح البخاري كتاب الوضوء (136) ، و مسلم كتاب الطهارة (251).

وقد جاء في تفسير قول الله تعالى ﴿ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾[المنافقون:8] عند ابن جرير الطبري "أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"[٧]

فالجانب الفطري موجود ولكن العدالة مع الله مطلوبة ، فمثلاً الإنسان الذي يكون بينه وبين أبيه مودة فطرية وقرب وإحسان ، وهناك عبد أو خادم يحسن إليه ويسيء إلى أبيه ، إذا باع إليه أو حدثه كان صادقاً ، ولكنه مع أبيه ظالم وسارق بل ربما يعتدي عليه بالضرب ، هل يحبه الإنسان لأجل وفائه معه أو يكرهه لظلمه لأبيه برغم إحسانه معه ! نجد أنه إذا ضعف الإنسان من جهة ولائه لأبيه قال لا يعنيني أبي ! فإنه يتوجه لما لديه .

كذلك فيما يتعلق في حق الله تعالى ينبغي أن ينظر الإنسان إلى الكافر ولو أحسن معه من خلال مقامه من الله تعالى وكفره به .

والوفاء مع الناس واجب من جهة الأموال والحقوق وتأليف القلوب ، أما ما يتعلق بتقديمهم على أهل الإيمان فهذه من المحظورات كما قال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ [النساء:144] يعني أنهم يتقوون فيما بينهم على أهل الإسلام وهذا للأسف مشاهد في بلداننا في كل أزمة سواء كانت قتالية أو سياسية أو اقتصادية فيتكاتفون على الإسلام ولو كانت هناك ثمة دعاوي بنبذ ما يسمى الطائفية !

الولاء والبراء للمؤمن صاحب الكبيرة

الولاء والبراء يتجزأن في جانب المؤمن كما يتجزأن في بعض صور الكافر لا في كلها ، لهذا النبي ﷺ كما جاء عنه في الصحيح في شارب الخمر " أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا

[٧]) تفسير ابن جرير الطبري الجزء 23 صفحة 407

فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ "[8] يعنى شارب خمر يحب الله ورسوله لأنه مؤمن من أهل الصلاة والصيام .

فربما يقع الإنسان في شيء من الكبيرة وهو مؤمن فينبغي ألا يفاصل مفاصلة تامة وليس هذا مراد الله من البراء كما وقع من بعض الأفراد في الصدر الأول ;ولذلك لابد من ضبط الولاء والبراء لا على أهواء الإنسان ولا لنزوات النفس وعواطفها وإنما لحكم الله فيها .

الولاء والبراء بين الفطرة والعقيدة

الإنسان بفطرته يحب الوفاء والصدق والأمانة ، والإحسان إليه ، ولهذا يقول غير واحد من السلف " الإنسان مجبول على محبة من أحسن إليه " هذا الوجود الفطري في ذات الإنسان ضبطه الله حتى لا يصل لدائرة العبودية لمن يحب فأوجب للإنسان حقاً لا يتجاوز أمر الله فيه وجعل المؤمنون إخوة .

والإخوة في القرآن على نوعين إخوة نسب وإخوة إيمان ، وهذه الإخوة قد بيّنها الله مفصّلة كما في قوله تعالى ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : 22] وهذه إخوة النسب لكن إذا حضرت إخوة الإيمان كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : 10] فتضعف إخوة النسب وتقوى على غيرها ، لهذا إذا تقاتل إخوة مؤمن وكافر فيجب على الإنسان أن ينظر إلى الظالم والمظلوم منهما فينتصر للمظلوم ولو كان بعيداً عنه وأن يحبس الظالم ولو كان ذلك اخلاهم .

وعلى حسب قوة وضعف الإيمان في قلب الإنسان يتجزأ الولاء وهذا موجودحتى في واقع الناس فتجد من الناس من يميل لمودة أحد والناس حوله كلٌ من أهل الإيمان فيميل إلى هذا ويقرب هذا أكثر ويميل إلى هذا دونه.

إذاً فالناس يؤمنون فطرةً أن هذا الأمر يتجزأ في قلوبهم وكما يتجزأ من جهة مشاعرهم يجب عليهم أن يتجزأ من جهة مقام الطاعة والمعصية ، مقام الإيمان والكفر ، فإذا حضر الكفر فإنه لا يُقدم كافر على مؤمن بأي حال من الأحوال إلا في أبواب المظالم .

[8]) البخاري كتاب الحدود (6398)

ولابد للناس أن يختلفوا وأن يوجد لديهم ما يتعلق بالطائفية لشيء من القبيلة أو الحسب والعرق والنسب ، ولو هرب الناس من الطائفية سيتوجهون لطائفية أخرى .

فللطائفية لابد أن توجد في البشر وقد أغلق الله منافذها كلها وفتح منفذاً واحدا وهو ما يتعلق بالولاء لمن يحب الله والبراء لمن يشرك مع الله غيره ، ضبطه الله أمره وجعله إليه ، يقول تعالى ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام : 57] .

جعل الله الحكم إليه وهو الذي يفصل الحق ويفصل بين الناس من جهة أحوالهم ، وجعل أمر فطري في ذات الإنسان يميل إليه فطرةً ، فربما من أول وهلة يرى شخص فيحبه أو يميل لخادمه المشرك ، وقد بيّن الله أن إعجاب الإنسان بالمشرك ينبغي ألا يغيّب جانب أعظم وهوظلم هذا المشرك لنفسه بالإشراك مع الله غيره كحال الإنسان الذي يحب من عدل معه ولو كان ظالماً لأبيه !

وجانب التفريط في الولاء والبراء أكبر من جانب التجاوز وإن وجد لكنه لا يساوي جانب التفريط .

والأمة قد انغمست بتغييب الولاء والبراء فنجد في وسائل الإعلام الاستحياء من وصف الآخرين بالكفر ووصفهم بالكفر لا يعني أننا سنقوم بقتالهم أو ظلمهم وبخسهم حقهم فالنبي ﷺ كان منصفا مع من حوله من اليهود وكان يحسن إليهم تأليفاً لقلوبهم ، ولهذا يقول الله تعالى ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : 8].

وقد حذر الله تعالى من ظلم الكافر بسلب ماله بغير حق ممن يكون من أهل الإحسان ، وبيّن مقام الذين لم يخالفوا المسلمين في دينهم ولم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم أن يحسن إليهم بالبر والهدية لتأليف قلوبهم كما كان النبي ﷺ يهدي لبعض أهل الكتاب تأليفاً للقلوب .

وتقديم الكافر على المؤمن لمجرد التعاملات المادية والعلمية أمارة على ضعف الصلة بين العبد وربه ، فربما يعجب الإنسان بإحسان أحد أو عدله أو علمه لكن يجب عليه أن يتعامل معه بالعدل والإنصاف لأنه ظالمٌ في حق نفسه ، خلقه الله تعالى ورزقه وأعانه في دنياه وبعد ذلك يجحد الله بتكذيبه والإعراض عنه ! لهذا يُكره من هذا الجانب ويُحسن إليه ولا يُكره في الجوانب الأخرى .

والأخطاء التي تقع من الناس تكون عليها المعاداة بقدر الخطأ والشر كما تكون الموالاة بقدر ما لديهم من خير .

الولاء والبراء والحرب على الإسلام

لاشك أن المشاهد والمتابع لأحداث العالم في الزمن المعاصر يلمس التعدي السافر المتكرر من بعض الدول الغربية على بلاد الإسلام ممن استمسكوا بدين الله تعالى ، ولم يعتدوا على أحد ممن حولهم فضلاً عن الأمم البعيدة عنهم .

وفي هذا الزمن الذي يُدعى فيه إلى كرامة الإنسان وحقه في العيش وحقه في إقامة دينه وشرعته يتم الاعتداء عليه بأدنى شبهة أو بأدنى مبرر لا يستمسك على شيء من مُسكة عقلٍ أو دين .

ولعل من الواجبات والمتحتمات أن تتحقق الموالاة من فيما بين الدول الإسلامية بالنصرة والمساندة والحث على أن يُرفع هذا الظلم عن بلاد الإسلام .

والأمة المظلومة قد توعد الله الظالم لها بالعقاب ووعد المظلوم بالنصرة فكيف بها إذا كانت أمة الإسلام !

ومن تأمل في أحداث العصر أدرك حقيقة هذا البلاء الذي وقع في هذا الزمن الذي يُباد فيه كثير من مسلمي الدول الإسلامية بغير ما شبهة ، ولم تتدخل أي دولة عسكرياً لحفظ الدماء لاسيما أنها دماء المسلمين بأيدي المسلمين !

فثمة نظرة إلى دماء المسلمين وحقوقهم قد انجلت عنها الأستار وكشفت حقيقة الدعاوي الفارغة التي تنادي بالحريات.

وما أحوج الأمة الإسلامية إلى الولا والبراء اليوم ، فينبغي على دول الإسلام أن يتقوا الله تعالى في عدم تخاذلهم شعوباً وحكومات لإخوانهم ، فيجب عليهم النصرة ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [لأنفال: 72]خاصةً إذا أطلقت الاستغاثات وطلب النصرة والمساعدة ، والنبي ﷺ يقول "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ،وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ،وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ "[9] فيجب على المؤمن أن ينصر أخاه شعوباً وحكام .

[9]) صحيح مسلم : كتاب السلام (2162)

والولاء والبراء لا يكون فقط بالنصرة في النفير والقتال والسلاح والعتاد ولكن يتعدى إلى كل سبل النصر والتأييد من كتابة ومقالات وغيرذلك .

فينبغي على كل من أوتي قلم أو لسان أو رأى أن يبين مكائد أهل الضلال الذين يدعون إلى شيء من الحياد وحرية الإنسان ، فقد تعدوا إلى دعوى حرية الحيوان ومع ذلك يرون الاعتداء على نساء وأطفال وشيوخ وأموال وأعراض بالإبادة والاغتصاب ولا يتحرك لهم ساكن بل يشاركون فيها ويدعمونها .

ولا تقل أهمية البراء عن الولاء إذ أنهما متلازمان فيحذر على الدول الإسلامية أن تعين على إخوانهم بشيء من القول والبهتان فذاك من أعظم الظلم،ويجب على الدول الإسلامية البراء من أهل الكفر والباطل والعدوان على بلاد الإسلام ، وقد حذر الله من إعانة أهل الباطل على أهل الإسلام ولهذا يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة : 51] ويقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء 144] " ويقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة : 1] فحذر الله من ولايتهم وإعانتهم بشيء من المال والرأي ولو يسير ، فهذا من أعظم الجرم والظلم .

وقد حذر غير واحد من السلف ، كما في حديث حذيفة ابن اليمان " ليتقِ أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، وتلا ه ذه الآية " وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ "[10] والتولي في ذلك أظهره وأجلاه العون بالسلاح أو المدد، كذلك ينبغي للمؤمن أن يحذر من إعانته على المظلوم فإن إعانة الظالم على المظلوم ظلم عظيم يستوجب عقوبة ، فيجب على الإنسان أن يحذر من عقوبة الله أن تأتيه من حيث لا يشعر .

ولعل من صور الولاء أيضاً الدعاء والقنوت ف لا شك أن الأمة إذا ظلمت وكان الظلم ظاهر وجب عليهم القنوت والدعاء برفع الظلم ، ويجب على من حولهم وإخوانهم في أقطار العالم الإسلامي سواء كان ذلك في صلاة أو في غير صلاة ، كما يجب تصعيد أمرهم عند من يجهل حالهم وبيان أنهم مغلوبون مقهورون ليس لديهم شيء من المظالم يطلبونها إلا رفع الاعتداء عليهم السافر الذي ما كان إلا لتمسكهم بدين الله تعالى ، كما يجب تفنيد الافتراءات الباطلة كوصفهم بالإرهاب وغير ذلك، فهي في الحقيقة عداوة دينية فيجب إظهارها وتعريتها وتعرية الدعاوى التى يطلقونها والمصطلحات التي يريدون بها إضاعة الحق وتلبيسه بالباطل .

[10]) السنة لأبي بكر بن الخلال (1613)